دعوى اعتقاد المتكلم ثم ان الاشكال من اصله انما يتجه اذا لم يلاحظ معنى
اللاميين فان لوحظ اختصاص الجنس او الافراد او الفرد الكامل او الاكمل
فدلالته على الكمال التام في كمال التمام وقد اتينا على بيان اركان الحمد
الخمسة على جهة الاقتصار والاختصار ولم يبق الا التتميم بايرادها
اشتهر من ان الجملة خبرية او انشائية وجوزهما الشريف فقال اخبار كما هو
اصله او انشاء وذلك لان الخبر بثبوت الحمد يستلزم الوصف بالجميل
فاذا تحقق باقي الاركان فهو حمد وكلامه مشير الى ترجيح مطلق الخبرية
بالاصالة وجرى عليه جمع منهم المولى حسن الرومي حيث قال ما محصوله
وانما رجح الاخبار بالاصالة مع ان قصد القائل احداث الحمد لان الاخبار
بثبوت جميع المحامد لله هو عين الحمد كما ان قولك الله واحد عين التوحيد
انتهى وقد الف العلامة البخاري في الانتصار لكونها خبرية مطلقا مؤلفا
حافلا ووصم من زعم انها انشائية فعلى نقيض ما تقتضيه الصناعة
العربية وخلاف ما عليه اساطين الفنون الادبية واستظهر على
ذلك بامور يطول ذكرها ورده الكمال بن الهمام فقال بالغ بعضهم
في انكار كون الحمد لله انشاء لما يلزم عليه من انتفاء الاتصاف بالجميل
قبل حمد الحامد ضرورة ان الانشاء يقارن معناه لفظه في الوجود قال
ويبطل من قطعيتين احديهما ان الحمد ثابت قطعا قبل الحامد والاخرى
انه لا يصاغ له للمخبر عن غيره من متعلق اخباره اسم قطعا فلا يقال
لقائل زيد له القيام قائم فلو كان الحمد اخبارا محضا لم يقل لقائل الحمد
لله حامدا وهما باطلان فبطل ملزومهما واللازم من المقارنة اي مقارنة
معنى الانشاء للفظه انتفاء وصف الواصف المعين لا الاتصاف وهذا لان
الجميل ظاهر الصفات لا ثبوتها نعم نتراءى لزوم كل مخبر منشئا حيث كان واصفا
للواقع ومظهرا له وهو توهم فان الحامد ماخوذ فيه مع ذكر الواقع كونه على
وجه ابتداء التعظيم وهذا ليس جزء ماهية الخبر فاختلف الحقيقتان الى
هنا كلامه والقول بان جملة الحمد من صيغ الانشاء شرعا او مشتركة بين الاخبار
والانشاء كصيغ العقود زيفه المولى حسن بان تلك اخبارات لغة نقلها الشرع
الى الانشاء لمصلحة الاحكام واثبات النقل في مثل ما نحن فيه بلا ضرورة ممنوع
فقول البعض هو غير بعيد ناشئ عن عدم الاهتمام بتحرير المقام وبذلك نختم
الكلام على الحمد وكان ينبغي تقول قدمتها هنا في مقام التعيين واجملت في محل
التبيين حيث عرفت الحمد بانه النعت بالجميل الخ ولم تبين ان ذلك هو
تعريفه اللغوي ولم تتعرض لما نطق به علماؤه من تعريفه عرفا بانه فعل ينبئ

عن تعظيم

عن تعظيم المنعم فاقول لم اغفله عن ذهول بل لان جعلهم ذلك لغويا وذا عرفيا
قد تعقبه العلاء البخاري بالرد والمنع بما منه ان هذا انما هو اصطلاح بعض
المتكلمين وان اهل اللغة والشرع قد نطقا بقوا على ان حقيقة الحمد الوصف
بالجميل قال فليس الحمد لغة اعم منه شرعا لان اطباق المفسرين على تفسير
الحمد الواقع في القران بما فسره ائمة اللغة دليل على تطابق الشرع واللغة
والا لما صح تفسير الحمد الواقع في كلام الشارع به لما ان الالفاظ الواقعة
في كلامه اذا كان لها معنى شرعي مغاير للمعنى اللغوي يجب حملها على المعنى
الشرعي ولا يجوز حملها على اللغوي انتهى ثم لما كان الحمد من المصادر التي
تنصب بافعال مضمرة والاحداث المتعلقة بالمحل المقتضية لانتسابها اليه
والفعل اصل في بيان النسب كان حقه ان يلاحظ معه الفعل لكنه عدل
الى الاختيار الاسمية افادة للدوام والثبوت اجابة لمناسبة المقام
كذا قرره التفتازاني قيل وهو على حسنه لا يخلو من كدر بالنسبة
لخصوص المقام اذ لا يخفى حسن المناسبة بين القول المتجدد الحادث
والفعل الدال على التجدد والحدوث فالتعبير بالفعلية انسب واثر
المصنف الحمد على الشكر تحسينا للبيان ببديع الاقتباس ولكونه اشيع
للنعمة وادل على مكانها لخفاء الاعتقاد وما في اعمال الجوارح من الاحتمال
ومن ثم كان راس الشكر ولفظ الجلالة على سائر الاسماء لكون المحامد
كلها مقرونة بمعانيها المستدعية لها فانه اسم ينبئ عن جميع صفات
الكمال لما اخبر بالله تعالى حقيق بالحمد باعتبار ذاته المستجمعة لجميع
صفات الكمال وعلامة نعوت الجلال حمدا ما لم يحمد فنبه على استحقاقه
له باعتبار افعاله العظام واثاره الجسام من ربوبيته للكل وشمول
رحمته الظاهرة للجميع وخصوص رحمته الباطنة للمؤمنين وذلك لان
ترتب الحكم على الوصف كما يشعر بالعلية فكذا يشعر بها تعقيب الحكم بالوصف
فكانه قال حقيقة الحمد مخصوصة بذاته الواجبة الكاملة الشاملة وقدم
الحمد لاقتضاء المقام مزيد الاهتمام به وان كان ذكر الله اهم ذكره التفتازاني
واعترض ورد وانما قدم في فلله الحمد له الحمد لانه ليس المقام مقام حمد
ولما كان صدر وهذا الجامع البديع الوضع المتكاثر لجمع الغريب لا يحصل
الترتيب العجيب التبويب لا يحصل الا لمن ارتقى منازل الشرف وحل من
الاجتهاد باعلى الغرف افتتح غرة ذلك الكتاب الشريف وملاحظة مطلعه
المنيف الى انه هو ذاك المقدم المبعوث على راس القرن فقال الذي كثرة جوده
على هذه الامة واعزاز افضاله عليهم بعث اي ارسل يقال بعث رسولا وبعثت

Copyright ... University